موازين النقد في الشعر الفارسي

م.م. بايش جبار زيارة

المقدمة

وجد النقد من النظرة إلى الأعمال الأدبية، وان نقد الشعر في الأدب الفارسي بدأ على النهج الذي بدأ عليه في سائر الاداب ومن الطبيعي إن يكون هذا النقد قد نشأ عن الشعراء أنفسهم مع إن ملكة الإنتاج تختلف عن ملكة النقد وذلك لان الطبيعة واحدة في تلك الحالتين وقد صدر النقد عند العرب من الشعراء انفسهم في أحيان كثيرا وكذلك كان الشعراء اليونان ينقدون كما يرى في نقد ارستوفان الشعر لشاعر التراجيديا في رواية "الضفادع" وهنالك نماذج كثيرة من هذا النقد منتشرة في كتب الأدب الفارسي وكان شعراء الفرس في العصور الأولى مثقفين بالثقافة العربية عارفين بالشعر العربي وأساليبه الفنية فاخذوا علم البديع من العرب وتفننوا فيه وزادوا على ما اخذوا ما سمحت به قريحتهم أو اوحته إليهم طبيعة لغتهم جميع المسائل ذات النتائج العملية أو التطبيق العملي هذه هي الطريقة الوحيدة التي يستطيع النقد بها أي يؤدي مهمته وألا سادت المجتمع الفوضى الفكرية، تلك الفوضى التي يهاجمها دارسوا النقد، فالحكم الموضوعي ،اذا يفصل العلم عن كل ما عداه من قيم خارجية لينظر إليه هو من داخله وليتجه ما بداخله من معنى لا يمكن الكشف عنه إلا من خلال تحليل (البناء) أو الشكل.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أما في نقد العمل الأدبي فهو التراث الأدبي وليس القيم الاجتماعية والأخلاقية فالناقد الموضوعي ينظر إلى العمل بوصفه جسماً حيا مستقلاً قادراً على أداء وظائف محددة في المجتمع والفرد.

موازين النقد في الشعر الفارسي

بدأ نقد الشعر في الأدب الفارسي على النهج الذي بدأ عليه في سائر الأدب فكان نقداً من هذا النوع الذي يسميه مؤرخو النقد بالنقد الذوقي أي النقد الجزئي الذي يحس المرء فيه بجمال بيت من الشعر مثلا وتتفعل به نفسه فيصطنع ألفاظا يعبر بها عن الشعور الجزئي الذي لا يرى غيره أو يذكر سواه.

ومن ميزة هذا النقد الجزئي خلوه من المنهج أو التعليل ذلك المنهج والتعليل من الأمور العقلية التي لا يقدر عليها إلا تفكير علمي أو من المعلوم أن هذا التفكير لا ينشأ إلا بعد أن يجتمع لدى كل امة تراث أدبي تشعر بالحاجة إلى مراجعته.

ومن الطبيعي أن يكون هذا النقد قد نشأ عن الشعراء أنفسهم مع أن ملكة الإنتاج تختلف عن ملكة النقد وذلك لان الطبيعة واحدة في كلتا الحالتين وقد صدر النقد عند العرب من الشعراء أنفسهم في أحيان كثيرة وكذلك كان الشعراء اليونانيون ينقدون كما نرى في نقد ارستوفان الشاعر لشعراء التراجيديا في رواية "الضفادع".

والنقد الذوقي يمتاز بجزئية مناحيه،فهو--لا يستعمل إلا عددا قليلاً من الألفاظ والعبارات التي غالباً ما تكون تشبيهات واستعارات فلا يوجد لدى الناقد الذوقي البدائي هذا القاموس المليء بالاصطلاحات

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الفنية التي أوجدها النقد العقلي مدى حياته الطويلة في عصور الرقي العلمي.

وهنالك نماذج من هذا النقد منتشرة في كتب الأدب الفارسي ولعل من أحسنها إفادة وأقواها تصويراً لحال الموضوع قصة الشاعرين عمعق ورشيدي التي نقلها صاحب جهاز مقالة وفي تصور نقاشا جرى بين الشاعرين بشأن قضية نقدية أو بالأصح بشأن مصطلح نقدي استند إليه الناقد في حلته.تقول الرواية إن عمعق أمير الشعراء في بلاد حضر خان ملك ما وراء النهر حكم على شعر الرشيدي بأنه شعر حديث متين ولكن يعوزه الملح فاستاء الرشيدي من ذلك وهي الناقد بقضية من الشعر قال فيها "عتب على شعري بأنه يعوزه الملح وقد تكون على جانب من الحق فان شعري من السكر والعسل وهذان لا يصلح لهما الملح أما أنت فشعرك لفت وفول فالملح يناسبك ويصلح لك.

هذه صورة تصور وتمثل النقد الذوقي التعليل والتضليل واعتماده على الاستعارة والتشبيه ويلي النقد الذوقي دوراً أخر يخطو فيه النقد خطوة إلى التعليل والتعميم وهو دور المذهب البديعي أي الدور الذي تتخذ فيه الصيغة البديعة مقياساً لنقد الشعر وتمحيصه.

وهنالك مسألة أصولية بشأن البديع: اهو شيء قديم اهتدى إليه الشعراء في كل لغة بقريحتهم وبحكم طبيعة الشعر ذاته أم شيء اخترعه شعراء لغة خاصة فتناقله عنهم شعراء سائر اللغات يبدو أن الأساليب الشعرية ما هو ذاتي للشعر يلازمه أينما كان.وفي أي لغة كانت كالاستعارة وما إليها ومنها ما بعد من اختراع الشعراء لغة خاصة أخذه عنهم شعراء سائر اللغات.هذا بحث أصولي أثاره الناقدون.وليست بصدد الوقوف عنده وإنما مهمتي هنا أن اذكر أن البديع

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الفارسي تأثر في قسم الصناعات اللفظية-أي ما لا يعد من اللوازم الطبيعية للشعر بالبديع العربي وقلده إلى حد كبير واتبع ذلك التقنن ظاهرة أخرى أدبية وهي الإكثار من الألفاظ العربية في الشعر الفارسي، فقد كان في سعة نطاق اللغة العربية وكثرة المترادفات منها عون لإجراء الصناعات البديعة مما لم تكن تقوم بها اللغة الفارسية نفسها.

وكان شعراء الفرس في العصور الأولى متقفين بالثقافة العربية عارفين بالشعر العربي وأساليبه الفنية فاخذوا علم البديع من العرب وتغنوا فيه وزانوا على ما أخذوه ما سمحت به قريحتهم أو أوحته إليهم طبيعة لغتهم.وقد حصل للبديع العربي منذ هذا التطور بلغ عدد الصناعات البديعية عند ابن حجة الحموي إضعاف ما كان في زمن ابن المعتز.

ويظهر ان شعراء الفرس منذ أواخر السامانيين وأوائل الغزنويين كانوا ملمين بالبديع كما يستفاد من بعض القرائن والإمارات وها هو ذا التاريخ ينص على إن الشاعر منشوري السمرقندي من شعراء السلطان محمود الغزنوي كان يقول"الشعر المنظوم" وقطران وهو من شعراء منتصف القرن الخامس للهجرة كان ينظم قصائد مصطنعة.

والى عصر الغزنويين يرجع أول كتاب ألف في علم البديع وهو كتاب "ترجمان البلاغة" لابن عمر الرادوياني وجاء بعده في عصر السلجوقين رشيد الدين الوطواط بكتابة" حدائق السحر في دقائق الشعر" وكلاهما في عصر الخوارزمشاهين أو بالأصح في مفتتح عصر المغول شمس محمد بن قيس الرازي بكتابة"المعجم في معايير إشعار العجم".

أما كتاب ترجمان البلاغة فقد كان إلى وقت قريب لا نعلم الإشارة إليه وردت في كتاب رشيد الدين الوطواط فقد صرح هذا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

المؤلف بأنه وضع كتابه حدائق السحر على شاكلة كتاب ترجمان البلاغة الذي رآه عن الملك انسز .وقال رشيد الدين انه وجد ترجمان البلاغة منطوياً على عيوب كعدم الاستقصاء للصناعات البديعة ونقص الأمثلة وعدم تطبيقها على مواردها فقام بتأليف كتاب حدائق السحر وأكمل فيه ما كان ناقصاً هناك ورشيد الدين لا يصرح باسم مؤلف ترجمان البلاغة ولكن هنالك مصادر أخرى تصرح بذلك منها معجم الأدباء لياقوت الحموي وكان كتاب ترجمان البلاغة يعد مفقوداً إلى أن عثر عليه أخيراً العالم التركي احمد اتش في بعض مكتبات تركيا والكتاب يشمل على عدد من الصناعات البديعة ويوردها المؤلف غير معتمد في ترتيبها على أساس ما ويأتي لكل منها بتعريف موجز ومثال أو أمثلة وكثير من هذه الأمثلة من شعر المتقدمين الذين ضاعت دواوينهم وبعد ذلك من أهم فوائد هذا الكتاب.

أما كتاب رشيد الدين فهو حدائق السحر في دقائق الشعر، ألفه على منوال كتاب ترجمان البلاغة للرادوياني او زاد في عدد الصناعات البديعة وقارن بين الشعر العربي والفارسي ونثرهما واتى بالأمثلة الكثيرة من اللغتين ولا ننسى أن رشيد الدين الوطواط كان متضلعاً في اللغة العربية وأدبها وله مجموعة رسائل بالعربية طبعت في مصر وديوان شعر عربي لم يطبع بعد. وقد عول في أمثلته العربية على كتب كثيرة وبخاصة على كتابي يتيمة الدهر للثعالبي ودمية القصر للبخاري ويعجبه من شعراء العرب المتنبي فقد أكثر من إيراد شعره وهو يعده أفضل شعراء العرب حسن تخلص ويرى نظيرة في الفارسي الشاعر عنصري،كما يشيد ببراعة المتنبي أيضا في صناعة الكلام

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الجامع .ويعجبه بعد المتنبي الشاعران أبو فراس والبحتري وقد وصف شعرهما السهل الممتنع.

أما عن شعراء الفرس فهو يكثر من ذكر عنصري والتمثل بشعره ويظهر انه كان يرى العنصري أكثر شعراء القصيدة والمدح في الأدب الفارسي ويهتم بعد عنصري بالشاعر مسعود بن سعد ويقول عنه انه أكثر شعره من الكلام الجامع وبخاصة ما قاله في سجن ولا يرى رشيد أحدا من شعراء الفرس بلغ مبلغ مسعود من هذا الميدان سواء من جهة جودة المعنى أو لطف اللفظ به شعر أبي فراس والبحتري أي السهل الممتنع وقد بلغ عدد ما ذكره رشيد في كتابه من شعراء أبي فراس ثلاثين منهم شعراء من القدامى المشهورين ومنهم من لا نعرفه إلا في هذا الكتاب،هذا بالإضافة إلى ما يورده من الأشعار النادرة القديمة مما يزيد الكتاب قيمة. ومن يلاحظ على حدائق السحران مؤلفه لا يذكر شعراء عصره ولا يشير إلى الشاعرين فردوسي وسنائي فقد كان رشيد معرضاً عن شعره كما يستفاد من مصادر أخرى ولكننا لا نعلم شيئاً عن سبب تغافله عن الفردوسي.

وجاء بعد رشيد الدين محمد بن قيس الرازي فألف كتابه المعجم في معايير إشعار العجم جامعاً لعلوم الشعر من العروض والقوافي ونقدا الشعر أي البديع وبمناسبة ذكر العروض والقافية يجدر أن نذكر أن تدوين هذين العلمين في اللغة الفارسية كان متقدماً على عصر قيس فقد نص صاحب جهار مقالة على كتابين اسمها كنز القافية وغاية العروضية لأبي الحسن السرخسي البهرامي من شعراء العصر الغزنويين ولكنه هذين الكتابين مفقودان وهكذا يكون كتاب المعجم أقدم كتاب وصل إلينا في هذا الموضوع كما انه يعد اجمع ما ألف في هذا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الباب ولا نعرف عن حياة شمس قيس إلا شيئاً قليلاً نستلخصه من الكتاب نفسه ويظهر انه كان من أهل الرأي وعاش في بلاط محمد خوارزشاه وعند هجوم المغول فر على وجهه وتنقل من بلدة إلى أخرى حتى استقر أخر الأمر في شيراز واتصل بالاتابك سعد بن زنكي في سنة ٦٣٣هـ ولازم بعده الملك أبا بكر بن سعد وألف هنالك كتابه المعجم أو بالأصح نقله إلى الفارسية لأنه كان ألفه أولا العربية ويظهر انه المؤلف كان له تأليف أخر بالعربية اسمه المعرب في معايير إشعار العرب لم يصل إلينا.

والمعجم كتاب حافل جمع فيه المؤلف ما وصل إليه في علوم الشعر الفارسية من تراث السلف وما استنبطه هو بفكرة واجتهاده وله ميزة أخرى وهي ذكر كثير من الشعراء وإشعارهم وإيراد أشعارنا درة قديمة لا توجد في كثير منها الأشعار المسماة بالبهلويات وفي الكتاب مباحث قيمة عن أحوال الحروف الأدوات المستقلة في اللغة الفارسية وبذلك يعد هذا الكتاب أول مصدر للنحو الفارسي في اللغة الفارسية. وقد طبع المعجم للمرة الأولى في بيروت بعناية لجنة حبيب وأعيد طبعه مؤخرا في طهران مع زيادات وتصحيحات جديدة.

وكثرت المؤلفات في علم البديع وسائر علوم الشعر منذ عصور المغول وبخاصة عصر التموريين فقد راج سوق الشعر المصنع في هذا العصر وزاد اهتمام الشعراء بانشائه كما زاد احتفال الناس بقراءته وهنالك لفيف من الشعراء أجهدوا أنفسهم في نظم قصائد طويلة مصنوعة يشتمل كل بيت منها على صناعة من الصناعات البديعية منيم فخران بن القوامى الكنجوي من شعراء أواخر القرن السادس للهجرة صاحب القصيدة المصنوعة المسماة ببدائع الاسمار في صنائع

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الأشعار وهي قصيدة مشهورة ولها شروح وتعليقات وقد ترجمها إلى الإنكليزية وشرحها الأستاذ براون في المجلد الثاني من كتابه "تاريخ إيران الأدبي" ومن هؤلاء الشعراء قوام الدين حسين الشيرواني المعروف بـ"سيد ذو الفقار" ومن شعراء القرن السابع بديعة الشمس" مفاتيح الكلام في مدائح الكرام"ومنهم بدر الدين الجاجرمي من شعراء المائة السابعة ومن المتصلين بالسماء الوزراء الجوينيين في عصر المغول له قصائد مصنعة كل بيت منها يقرأ على وجوه مختلفة وعلى قوافي متعددة ومن مشاهير أصحاب البديعات في المائة الثامنة شرف الدين فضل الله القزويني المعروف بتاريخه المسمى بالمعجم في أثار ملوك العجم وهو نثر مصنع وبديعية لشمس نزهة الإبصار في معرفة بحور الأشعار ثم الشمس لفخري الاصبهاني صاحب قصيدة مخزن البحور ثم سلمان الساوجي صاحب القصيدة الموسومة بـ "صرح ممرد" وهو اشهر شعراء القرن التاسع ومن المثقفين في أنواع من الشعر والبارعين في الغزل خاصة.

وظل البديع ميزانا سائدا لنقد الشعر وظل كتاب حدائق السحر مثالاً مؤلفين ينسجمون على منواله مع تفصيل لمجملة وتبديل لأمثلة وظير من هذه المؤلفات في القرن الثامن كتاب حدائق الحقائق لشمس الدين حسن بن محمد التبريزي الملقب بالرامن..ألف كتابه هذا بأمر الأمير شيخ اويس الكاني وشرح فيه كتاب رشيد وجاء بالامثلة من الأشعار المتداولة في عصره وقد اشتهر الرامن هذا بسبب كتاب له أخر يسمى أنيس العشاق، وهو أشبه بقاموس لمصطلحات الشعر العربي استقصى فيه المؤلف البدن بالعربية والفارسية وذكر الألفاظ الوصفية

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

التي يطلقها الشعراء على الأعضاء على سبيل التشبيه والاستعارة مستشهداً في كل ذلك بأمثلة كثيرة من الشعر.

وهنالك فريق آخر من نقدي الشعر لهم نقدهم وموازينهم وهم أصحاب التذاكر أي المؤلفون لتراجم الشعراء وأقدم من ورد اسمه في التاريخ من هؤلاء المؤلفين هو أبو طاهر الخاتوني من شعراء القرن الخامس ومؤلف كتاب "مناقب الشعراء" وقد ضاع ولم يصلنا إلينا منه إلا أن نقول قليلة في بعض الكتب كما لم تصل إلينا من شعره إلا أبيات متفرقة هنا وهناك.

ولكن أقدم التذاكر الموجودة لباب الألباب لشمس الدين محمد العرفي ألفه في أوائل المائة السابعة ويظهر من هذا الكتاب أن المؤلف كان صاحب أسفار وتنقل في بلاد خراسان وما وراء النهر وقد التقا بشعرائها وأخذ من شعرهم ما أثبته في كتاب بجانب ما حصل له من أخبار الشعراء الاقدمين وهذا سبب ما تراه في الكتاب من إكثار ذكر شعراء خراسان وما حولها والكتاب يقع في مجلدين الأول في ذكر من قال الشعر ولم يكن محترفاً له والثاني في ذكر الشعراء المحترفين وتتصدر الكتاب فصول تمهيدية في فضل الشعر أول من قاله وأول شعر فارسي ويشتمل الكتاب على ذكر ما يقرب من ثلثمائة شاعر منهم من لم يرد ذكره في غير هذا الكتاب وفيه مختارات من شعر الشعراء كثيرة مما جعل الكتاب أشبه مجموعة شعرية منه بمعجم تاريخي وقد اخل عوفي بالناحية التاريخية بحيث لا يكاد يوجد في كتابه من حياة الشعراء وتواريخهم ما يعتد به مع أن ذلك ممكناً بفضل المواد التي كانت في متناول المؤلف وقد اخل بالناحية النقدية أيضا فلا تجد عنده منهما أو ميزاناً لنقد الشعر ولا نقدا للشعر على الإطلاق وقد تسبب عن

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

عدم نقده أو ضعف نقده عدم إصابته في اختيار الأشعار من اخذ عليه بردان نراه في وصفه للشاعر لا يهمه إلا تلفيق الألفاظ للوصف وصياغتها على الأسلوب البديعي وعنده مجموعة من هذه الألفاظ يرددها عند ذكر كل شاعر مضيفاً إليها في الغالب تورية يلعب فيها اسم الشاعر أو لقبه من اجل ذلك جاء الشعراء في الكتاب كلهم على صورة واحدة لا تميز بعضهم عن بعض ومع ذلك كله فالكتاب على جانب كبير من الأهمية لسبب قدمه وندرة أمثاله كما هو الشأن في كل ما تبقى من الآثار المتقدمة على هجوم المغول والكتاب مطبوع في ليدن.

أما الكتاب المشهور "بجهار مقالة" للنظامي العروضي السمرقندي. فهو وان كان لا يعد من كتب التذاكر إلا انه يحتوي على شيء من أخبار الشعراء القدامى وهو مصدر موثوق به فيما يورده واشهر كتب التذاكر بعد اللباب تذكرة الشعر لدولتشاه من مؤلفين القرن التاسع للهجرة تكلم فيه عما يقرب من مائة وخمسين شاعرا من أقدم عهود الشعر الفارسي حتى أواخر القرن التاسع أي زمن حياة المؤلف ورتبهم على ترتيب الزمان كما فعله العرفي في لبابه لكنه أربى على سلفه بكثير من الناحية التاريخية والنقدية فقد أفاض من ذكر أخبار الشعراء وحوادث حياتهم مما وقع تحت يده واتبع الترجمة الخاصة بفائدة عامة تاريخية أو جغرافية من ذكر الملوك والدول التي ورد ذكرها في ترجمة الشاعر وذكر البلد الذي ينسب إليه الشاعر كل ذلك شيئاً اختاره من شعره اختيار ناقد بصير محنك في فقه فجاءت مختاراته غاية في الجودة والرواء ويتخلل الكتاب فصول في النقد ممتعة تنم عن خبرة المؤلف وبراعته ومن جملتها مناقشته مع النظامي العروضي في قطعة من شعر الرودكي تعرف بقطعة "جوى مولیان" نرى في هذا النقد صورة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من ملكة التذوق الشعري في عصر دولتشاه وهو عصر التصوريين من انشط الصور في نقد الشعر كما تشهد به المصادر الأخرى ومن شواهد ذلك في بهارستان للجامين تجد فيه نقدا بارعاً من أحسن ما يكون وكتاب دولتشاه مطبوع وله طبعة جيدة في ليدن بعناية الأستاذ بروان.

الخلاصة

يرى بعض دراسي النقد إن فكرة النقد في الشعر تقترب إلى حد كبير من مذهب الواقعية الذي يشترط أساسا الإخلاصُ للتجربة أو صدقها.أما أخلاص الشاعر لتجربته هو أول شيء يضمن له المضمون الأخلاقي في القصيدة ،إذا كان هنالك مضمون أخلاقي،سواء أكان يعالج موضوعاً يتصل بالمعايير الأخلاقية المتفق عليها في مجتمع ما، أم لا فهذا الإخلاص بالتجربة هو الذي يوفر للقارىء الإحساس بجدة الأشياء في الطبيعة والعالم الخارجي، كما يوفر له أيضا الإحساس بصلة الأشياء الوثيقة به.الفكرة الأساسية أذن هي أن الشعر نقد للحياة وكلمة نقد هنا تعني تفسير الحياة، وإعادة خلقها بطريقة توفر للقارىء الراحة النفسية وتخفف من الأمه.

لذلك نرى أن الشعر العظيم هو ما يخاطب العواطف الإنسانية الأولية تلك المشاعر الأولية التي تكمن على الدوام في الجنس البشري إن مهمة الشعر الأساسية هي في انه يتناول قوانين الحياة الإنسانية،ويضع على أعمق الحقائق في حياة الإنسان. أما المجتمع وما ينطوي عليه من مساوىء او حسنات ،فلا يمثل موضوع الشعر

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الرئيسي، إنما يقتصر دوره على تهيئة الجو الملائم للإبداع،وان أعظم قدرة للشعر ،هي قدرته على التفسير،ولا نعني بذلك القدرة على بسط أسرار العالم أمامنا في وضوح ،وإنما القدرة علـى معالجـة الأشـياء بطريقة تثير فينا أحساسا كاملاً بجدتها، وصلتها الوثيقة بنا وعندما يثار فينا هذا الإحساس نشعر بأننا على اتصال بطبيعة هـذه الأشـياء فـي جوهرها.

المصادر

١-د.ريكان ابراهيم،نقد الشعر في المنظر النقدي،بيروت.

٢-د.سمير سرحان، النقد الموضوعي-دار الشؤون الثقافيـة العلميـة، بغداد، ١٩٩٠.

٣-أبو مغلي محمد وصفي، دراسات في اللغة والشعر الفارسي.

٤-مقالات أدبية ونقدية، ارنولز،شيكاغو ١٩٤٨م.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)